المقدّمة

الحمدُ لله الواحد الأحد, الفرد الصمد، الذي خلق الإنسان وأرشدهُ إلى عبادته، وأمرهُ بطاعته. قال الله تعالى:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ الذاريات/٥٦.

وأشهد أنّ لا إله إلا الله الخالق الرازق السميع العليم ، ربُّ العالمين ، وأشهد أنّ محمداً عبدالله رسوله الصادق الأمين (ﷺ), رضي الله تعالى عن آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد..

فإنّ أنفس ما تبذل فيه الطاقات, وتنفق فيه الأوقات, هو القرآن الكريم , الذي جعلهُ اللهُ تعالى معجزة رسوله العظمى, فوفَّى بحاجات البشر بأسلوب معجزٍ مبين, قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ النساء/٨٢.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل لهداية البشر وتوجيهه في عمارة دنياه وآخرته فإنّنا نجده قد أمرنا بأن نُتقن أعمالنا, وأن نجود في عباداتنا، قال الله تعالى ﴿ ٱلتَّنَاوُشُ ٱلۡمَآئِدَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ٱلۡأَعۡرَافِ ٱلۡأَنفَالِ ٱلتَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ... ﴾ النساء/ ١٢٥. وقال النبي محمد(ﷺ) : [إنّ الله يحبُّ إذا عمل أحدُكم عملاً أن يُتقنهُ][1].

وقد لاحظتُ أنّ ((قضية الجودة والإتقان)) هي واحدةٌ من الحقائق القرآنية التي لم تلق حقّها في البحث والدراسة , ونحن المسلمين اليوم على جانبٍ كبيرٍ من التقصير في الأخذ بأسباب تحقيق الجودة والإتقان, وفي جميع جوانب الحياة ومجالاتها , على الرغم من أنّنا أولى الناس بالاحتكام إلى مقاييس ومعايير الجودة

---

[1] مسند أبي يعلى: ٣٤٩/٧, حديث رقم (٤٣٨٦), ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد:١١٥/٤, حديث رقم(٦٤٦٠), وقال عنه: (في سنده مصعب بن ثابت, وقد وثقه ابن حبان وضعفه جماعة), والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:٢٨٥/١, وسلسلة الأحاديث الصحيحة:٦/٣.

والاتّصاف بها, واعتمادها شعاراً في كل الأعمال التي ينبغي أن نقوم بها، فنحن المسلمين مُطالبين بأن نُتقن أعمالنا وأن نجود فيها وأن نُحسّنها ، قال الله تعالى: ﴿ قٓ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَٰدِقٞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ التوبة/ ١٠٥.

لكل ما سبق رأيت أنّ واجب الوقت يُحتّم على علماء المسلمين وباحثيهم أن يبرّزوا هذا الجانب, وأن يسدّوا هذه الثغرة التي أصبحت واضحةً جليةً في بُنيان الأمة الإسلامية, وأن يضيئوا هذه الشمعة التي أمست منطفئةً غير مضيئة بعد أن كانت في الأمس القريب هي الشارةُ الدالّةُ على حُسِن عمل المسلمين وجودة صنيعهم, لذلك فقد رأيت أنّه من الواجب عليّ أن أتقدّم لدراسة هذا الموضوع((وسائل تحقيق الجودة في ضوء القرآن الكريم)) ، محاولةً منّي لتبين وسائل تحقيق الجودة في ضوء القرآن الكريم، عسى أن يكون خير مُعينٍ لهذه الأمّة ليُخرجها من أزمتها وليبصّرها بكيفية السلوك القويم, والعمل الجاد المُتقن في هذه الحياة .

لذلك تتبعت الآيات القرآنية الكريمة المتعلّقة بموضوع تحقيق الجودة وقسّمتها على حسب الموضوعات التي درستها, وعزوتها الى سورها في متن البحث خشية الإطالة في الهوامش, وذلك لكثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، كما أوردت الأقوال المأثورة وعزوتها إلى قائليها ومصادرها ما أمكن ذلك.

أمّا عن خُطّة البحث والدراسة فقد أملى عليّ منهج البحث العلمي أن أُقسّم البحث على ستة مطالب منتهيةٍ بخاتمةٍ متضمنةٍ لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث والدراسة, وبين يديها سطور هذه المُقدّمة.

أمّا المصادر الأصيلة في هذه الدراسة هي تفاسير بعض الأعلام الذين أشاروا إلى الوسائل التي تساعد على تحقيق الجودة والإتقان من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية الدالّة على هذا الموضوع أو من خلال تفسيرهم للآيات التي ينبغي عند أدائها أو العمل بمضمونها يجب أن يتحقق من خلال ذلك مفهوم الجودة .

وقد أفدت من هذه التفاسير في توثيق أقوال المفسرين وبيان الوجه الصحيح المنسوب إلى كل واحد منهم، اضافةً إلى الاستفادة من آرائهم وأقوالهم السديدة من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية الكريمة وبيان معانيها التي تكشف عن أهميّة الموضوع وتوضّحه.

بالإضافة إلى كتب التفسير الأُخرى، وبعض كتب الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع وأهتمّت بدراسته بشكل مباشر والتي أفدت منها . أيضاً . في الوقوف على إظهار الموضوع بصورته الحالية, والاستفادة منها في بيانه و شرحه وتوضيحه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الباحث.

تمهيد:

قبل أن أتكلم عن الوسائل التي تمكّنُ المسلم من الوصول الى تحقيق مرتبة الجودة والإتقان, ولكل الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان, أرى أنّه من الواجب عليَّ أن أُبينَ معنى الوسائل.

فالوسائل جمع وسيلة، والوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء , والوسيلة القربى[1], قال الله تعالى: ﴿ فَاطِرِ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرِ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ﴾المائدة/٣٥, قال ابن كثير(رحمه الله) في تفسير الوسيلة:(الوسيلة ما يتوصل به إلى تحقيق المقصود)[2].

ووسائل تحقيق الجودة والإتقان: هي كل ما يخدم عملية الجودة والإتقان, ويُساعد على تحقيقهما ويوصل اليهما, وهي الطرق التي توصل المسلم وتمكّنه من تحقيق مرتبة الجودة والإتقان, ولكل الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الانسان.

والإسلام يؤكد على ضرورة الأخذ بالوسائل, ومباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال, ولا بدَّ أن تدرك الأمةُ الإسلاميةُ أنّ اتخاذ الوسائل واعتمادها لتحقيق الجودة والإتقان أمرٌ حتمي لا محيص عنه .

ومن رحمة الله تعالى أنّه لم يُكلّف المسلمين بما لا يُطيقيون, ولم يطلب منهم فوق ما يستطيعون من اتخاذ الوسائل والأسباب . ولكنّه يطلب منهم فعل أقصى ما يستطيعون, وتقديم أفضل ما يملكون.

وحديث القرآن الكريم عن وسائل تحقيق الجودة والإتقان ليس حديثاً مُرسلاً, أو كلاماً مطلقاً مبهماً, بل أنّ القرآن الكريم حرص على توجيه الأمة الإسلامية إلى

---

(١) ينظر: لسان العرب : ٧٢٤/١١, مادة (وسل).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٠٣/٣.

ضرورة الأخذ بكل وسيلةٍ من وسائل تحقيق الجودة والإتقان حتى يتحقق الهدف المنشود, وهذا جانبٌ بارزٌ من جوانب عظمة المنهج القرآني لتحقيق أعلى مستويات الجودة والإتقان, فهو يوضّح الغاية ويقدّم الوسيلة, يُشخّص الداء ويُرشد إلى الدواء. يُحذّر من الفوضى والإهمال والتكاسل والفساد, ويُدلل على أسباب الوقاية من ذلك, ويحثُّ على ضرورة اعتماد الجودة والإتقان, ويقدّم الوسائل الموصلة إلى تحقيق ذلك.

ووسائل تحقيق الجودة والإتقان في القرآن الكريم واضحةً لا غموض فيها , وميسورة لا مشقّةَ في الوصول إليها. بل هي في متناول كل يدٍ , وكل مجتمعٍ تتحقق لديه الرغبة الصادقة في تحقيق الجودة والإتقان. وهي كثيرةٌ, ولكن من خلال استقرائي للنصوص القرآنية وجدت أنَّها في جملتها ترجع إلى ستة وسائل أساسية , وهي:

. المطلب الأول: إخلاص النيّة .

. المطلب الثاني: القيام بالإصلاح .

. المطلب الثالث: اعتماد الصدق في القول وفي العمل.

. المطلب الرابع: اعتماد الصبر عند أداء الأعمال .

. المطلب الخامس: أداء الأمانة.

. المطلب السادس: استشعار مبدأ المراقبة والمحاسبة الإلهية.

ولذلك سأتناول كلَّ وسيلةٍ من هذه الوسائل في مطلبٍ مستقلٍ من أجل دراستها دراسةً مستفيضةً , مع بيان أهميّتها وأثرها في تحقيق الجودة والإتقان.

المطلب الأول: إخلاص النيّة

أولاً: تعريف الإخلاص.

الإخلاص في اللغة مأخوذ من الفعل (خَلَصَ) وهو أصلٌ يدل على تنقية الشيء وتهذيبه[١]. والإخلاص في الطاعة معناه ترك الرياء[٢].

وأما الإخلاص في الاصطلاح الشرعي: (فهو تنقيةُ العمل وتصفيتهُ وتخليصهُ عن الشوائب كلها, قليلها وكثيرها, حتى يتجرد فيه قصد التقرب إلى الله تعالى , فلا يكون فيه باعثاً على العمل سواه, وهذا لا يتصور إلا من مُحبٍ لله تعالى, مستغرق الهم بالآخرة, بحيث لم يُبق لحب الدنيا في قلبه قرار)[٣]، ومعنى ذلك أنّ المخلص في عمله يجب عليه أن يكون عالماً أنّه في أدائه لعبادته يبتغي وجه الله تعالى وحده دون غيره بعيداً عن العُجب أو الرياء أو النفاق .

ثانياً : تعريف النيّة .

النيّة في اللغة: (نوى الشيء قصده واعتقده, وهي القصد والإرادة)[٤].والنيّة في الاصطلاح تُعرّف:(بأنّها قصد العمل بإرادة النفس له دون غيره , واعتقاد النفس ما استقرت عليه)[٥]. وتُعرّف كذلك بأنّها: (انبعاث النفس وميلها إلى ما ظهر لها أنّه مصلحةً لها في الحال أو المآل)[٦], والنيّة والإرادة و القصد عبارات متواردة بمعنى

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة : ٢٠٨/٢, مادة (خلص).
(٢) ينظر: التعريفات : ٥.
(٣) إحياء علوم الدين : ٢/ ١٦٨٥.
(٤) لسان العرب : ١٥/ ٣٤٧ , مادة (نوي).
(٥) الإحكام في اصول الأحكام: ١٣٢/٥.
(٦) مختصر منهاج القاصدين: ٣٩٧.

واحد[١],قال الله تعالى :﴿النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ ﴾ الإسراء/٨٤, فقول الله تعالى:﴿ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ﴾ , أي: (على نيّته)[٢] , وقال الله تعالى :﴿ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾ النجم/ ٣٩, فمعنى قول الله تعالى ﴿ الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾ أي: (إلا ما نوى)[٣].

ثالثاً: أهمية إخلاص النيّة .

إن إخلاص النيّة في القول وفي العمل أساسٌ من أُسس بناء النظام الإسلامي لأجل تحقيق أقصى درجات الجودة والإتقان وفي مختلف الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان, إذ أنّ قبول العمل من عدمه أمرٌ مرتبطٌ بمدى تحقق النيّة الخالصة لله تعالى وحده دون سواه, فالإخلاص هو حُب تحصيل أمرٍ ما وإرادته قاصداً به وجه الله موافقاً فيه لشرعه سبحانه وتعالى, وفي ذلك يقول الخالق سبحانه وتعالى :﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ... ﴾ النساء/ ١٢٥,(وإسلام الوجه لله: هو إخلاص القصد والعمل له, والإحسان فيه : هو أداؤه على الصورة المرضيّة شرعاً, ومتابعة رسول الله (ﷺ) وسنته)[٤].

ولعلّ أداء العمل على الصورة المرضيّة شرعاً هو إتمامه وإحكامه بدقّةٍ للوصول إلى درجة الكمال عند أدائه وهو الشرط الحتمي لقبول أي عمل مع سلامة النيّة

---

(١) ينظر : مختصر منهاج القاصدين: ٣٩٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦/٨٥.
(٣) المصدر نفسه : ١٧ / ١١٥.
(٤) مختصر منهاج القاصدين : ٤٠٠.

والقصد, قال الله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَنِ ﴾الفرقان/ ٢٣, (أي باطلاً لا ثواب له , فهم لم يعملوه لله عز وجل)[١]. وعلى ذلك فلا بدّ في إخلاص النيّة من تجرد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع البواعث , حتى يكون الباعث على العمل هو الامتثال لأمر الله تعالى, ثم لا حرج في أن يطمح الإنسان بعد هذا الشيء إلى شيءٍ آخر , كالفوز بنعيم الآخرة, أو النجاة من أليم عذابها, بل لا يذهب بالإخلاص بعد ابتغاء وجه الله, أن يحضر بباله أنّ للعمل الصالح آثاراً في هذه الدنيا, كطمأنينة النفس, وأمنها من المخاوف, وصيانتها من مواقف الهون, على غير ذلك من الخيرات التي تعقب العمل الصالح, ويزداد به إقبال النفوس على الطاعات قوةً الى قوة, إذ أنّ ذلك أدنى رتبةً ممن جعل العمل الصالح خالصاً لله تعالى قبل العمل وبعده, وما أراد به إلا وجهه تعالى, ولم يخطر له حُسن الثواب أو سوء العقاب[٢]. وبعد هذا التتبع للنصوص القرآنية وشرحها وبيان أقوال المفسرين لها , يجدر بنا أن نقوم للإسلام قائمة الاحترام وهو يحثّ وينادي ويؤكد مُطالباً بضرورة إخلاص النيّة في العمل وإتقانه والإجادة فيه(فإنّ الحياة نفسها لا تستقيم ولا ترتقي إلا بالمحسنين المخلصين, ولهذا كان أكثر ما يُصيب الأمم والمجتمعات من النكسات والكوارث القاصمة, إنّما يجرّهُ عليها أُناسٌ لا يرجون الله والدار الآخرة, أُناس من عبيد الدنيا وعُشّاق الثروة, أو من أصحاب الجاه والمنصب, أو من دعاة التعصب والفرقة, الذين لا يبالون في سبيل دنياهم وشهواتهم أن يدمروا دنيا الآخرين ودينهم معاً)[٣] .

---

(١) معالم التنزيل : ٩٢٤.

(٢)وسائل الإصلاح: ١/١, والنيّة والإخلاص : ١٢.

(٣) النيّة والإخلاص: ١٤.

المطلب الثاني: القيام بالإصلاح

أولاً: تعريف الإصلاح وبيان أهميّته.

١. تعريف الإصلاح.

الصلاح والإصلاح والمصلحة والتصالح أو المصالحة مشتقةٌ من جذر لغويٍ

واحدٍ : (صَلَحَ) وجميعها تعني إزالة الفساد والقضاء عليه , والعودة إلى ضده وهو الصلاح , وجميعها تختص في أكثر الاستعمال بالأفعال . فالإصلاح نقيض الافساد , والمصلحةُ ضد المفسدة , والتصالحُ هو إصلاح ذات البين , ومن ثم فإنّ جميع هذه الألفاظ تعطي دلالةً واحدةً , وهي إزالة الفساد والقضاء عليه[١].

والإصلاح عندما يُطلق في الاصطلاح الشرعي فإنّما يُراد به:(التغيير إلى استقامة الحال على ما تبدو عليه الحِكمةُ)[٢]. (وقيل الإصلاح هو إزالة الخطأ)[٣].

٢. أهميّة الإصلاح.

للإصلاح أهميّةٌ كبيرةٌ في إزالة الفساد والقضاء عليه , من أجل تحقيق أعلى مستويات الصلاح والاستقامة, ولأجل تحقيق الجودة والإتقان ولمختلف نواحي الحياة وجميع مجالاتها, وقد وردت لفظة (صَلُحَ) وما أشتق منها في القرآن الكريم (١٨٠)

---

(١) ينظر: العين :٣٩٨/١, ومعجم مقاييس اللغة: ٣٠٧/٣, ولسان العرب :٢/ ٥١٦, مادة (صلح) .
(٢) الموسوعة الفقهية :٦٢/٥.
(٣) معجم لغة الفقهاء: ٧١.

مرةً[١], لتُعبّرَ عن جميع معانيها اللغوية السابقة وما تدل عليه , وقد جاءت في معظم مواضعها مرتبطةً بالعمل , لتُشير إلى ضرورة إصلاح العمل وإتقانه لأنّه أساس مادة النجاح في مضمار الحياة الدنيا والدار الآخرة, فالإصلاح هو أساس تحقيق السعادة للبشرية, وهو أساس الشرائع كلها بعد توحيد الله سبحانه وتعالى, وتنزيهه عن الشرك .

والإصلاح يشمل كل مجالات الحياة, وكل أشكال وروابط العمل, عمل الإنسان في نفسه وأهله, وعمل الإنسان في مؤسسته ومجتمعه والمحيطين به والبشرية بأجمعها, حتى يكون المجتمع على اتساعه فاعلاً عاملاً مُنتجاً, ويتكامل الجميع لتحقيق مقام العبودية لله تعالى والاستخلاف في أرضه , وفي ذلك يقول الخالق سبحانه وتعالى حكايةً عن قول شعيب (عليه السلام) لقوم مدين :﴿ ... الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ... ﴾ هود/ ٨٨, أي الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحهُ بالخير على كل فرد فيه وعلى كل جماعة[٢].

ثانياً : عناصر تحقيق الإصلاح.

إنّ الإصلاح لن يتحقق بالشعارات ولا بالأماني أو النداءات, وإنّما يتحقق في ظل تطبيق مجموعة من العناصر التي تُساعد على تحقيقه وإقامته, من أجل الوصول الى أعلى مستويات الجودة والإتقان عند أداء الأعمال, ومن خلال تتبعي للآيات القرآنية الكريمة تبين لي أنّ تحقق الاصلاح يعتمد على ثلاثة عناصر رئيسة, وهي كما يأتي:.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس :٥٠٤. ٥٠٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ١٩٢١/٤.

١. اعتماد مبدأ التخطيط .

يعرّف التخطيط بأنّه:(هو التفكير العميق المتّزن والدراسة المستفيضة, والعملية المنظّمة, لاختيار أحسن الحلول والوسائل للوصول إلى أهدافٍ معينة)[١].

والتخطيط له أهميّةٌ كبيرةٌ في عملية الاصلاح, فالتخطيط أمرٌ ضروريٌ لكل شؤون الحياة, وذلك لأنّ الإسلام دين العلم والحركة الهادفة المحسوبة التي ترفض الارتجال والعشوائية في إدارة الأمور, أو ترك الأمور تجري على أعنّتها بغير حدود تحدّها, أو ضوابط تحكمها, وهو كذلك دين المستقبل, فالنظرةُ المستقبليةُ شيءٌ أساسيٌ في أصل الدين, كما أنّ الدين الإسلامي هو دين الأخذ بالأسباب والتخطيط والتدبير المُتقن. واحتفاءً بالتخطيط ودوره في حماية البلاد والعباد, فقد ذكر لنا القرآن الكريم كيف أقام الله تعالى هذا الكون الواسع, بناءً على الدقّة والنظام والتناسق بين الأجرام الهائلة في حركتها الدائبة, فكلٌ في مداره وفلكه , بلا مسابقةٍ ولا تزاحمٍ, ولا بديل عن التخطيط إلا الفوضى والارتجال, قال الله تعالى:﴿ نُوحٌ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ ﴾[٢] يس/٤٠ .(فليس من المعقول أن يخضع الكون كلّه إلى قوانين تتحكم في سيره من الذرة إلى المجرة...ثم يفلت المجتمع الإنساني من نظام الوجود, فيتّسم بالفوضى ...ولا يخضع لضوابط تضبط حركته, ولا لتخطيط يُعدّلُ اعوجاجاً يحدث فيه)[٣].

---

(١) الدعاة والتخطيط: ٢٢.

(٢) ينظر: الدعاة والتخطيط: ٤١.

(٣) الإسلام والتنمية الاجتماعية: ٩.

(وهذا يُعطينا مؤشراً لإقامة حياتنا في إطار التخطيط, لأنّ الإنسان جزءٌ من حركة الكون, وهو مطالبٌ بعمارة الأرض ونشر العدل, ولابدّ لذلك من تخطيطٍ , إذ هو أساس العمل الناجح)(١) .

وتظهر أهميّة التخطيط بما قصّ علينا القرآن الكريم من تخطيط يوسف (عليه السلام) لإخراج مصر من مخاطر السنين السبع العجاف التي مرّت في أيّام العزيز, حيث ذكر لنا القرآن الكريم عن يوسف (عليه السلام) قوله : ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾. الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر. الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل ﴾ يوسف/ ٤٧ – ٤٩ . إذ تكاملت في هذه الخطّة كل مقومات التدبير والتخطيط الناجح, وذلك من خلال تفسير يوسف (عليه السلام) لرؤيا العزيز ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ يوسف/ ٤٦. حيث أنّ خطّة يوسف(عليه السلام) تكاملت من خلال توجيهه لأهل مصر بالزراعة المتواصلة لمدة سبع سنين ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ والدأب: هو العادةُ المستمرةُ على حالةٍ واحدةٍ(٢), والمراد من ذلك هو استمرارهم على الزراعة والمداومة عليها طوال السنين السبع الأولى, سنين البركة والخصب والوفرة(٣) .

قد أوّل يوسف(عليه السلام) رؤيا العزيز ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ يوسف/٤٦, أوّل البقرات السِمان, والسُنبلات الخُضر, بسنين الخير والخصب والوفرة والبركة في الرزق,

---

(١) أثر التخطيط في بناء المجتمع المدني: ٢٨.
(٢) ينظر: المفردات: ١٧٠.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٣/٩, وتفسير روح المعاني: ٢٥٤/١٢.

والبقرات العِجاف, والسُنبلات اليابسات, بسنين القَحط والضنك في العيش, فأرشد أهل مصر الى ضرورة أن تُواجه تلك السنين العِجاف بالتخطيط المُحكم, وهو المواظبة على الزراعة طوال السنين السبع الأولى, سنين الخصب والوفرة والبركة, وإنّ ما يحصلوا عليه من وفرةٍ وبركةٍ في الرزق في هذه السنين, فإنّه من الواجب عليهم أن يُخزّنوه ﴿... ﴾ البقرة/١٤٧, أي: اتركوه في سنبله كي لا يتسوس ويتلف بسب تخزينه لقادم السنين, ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا به في السبع السنين الشِداد، وهنّ سِنين المُحْل والقحط التي تعقب هذه السبع متواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السِّمان, لأن سنين القحط يؤكلُ فيها كلَّ ما جَمَعَوه في سنين الخصب والوفرة والبركة، وهن السنبلات اليابسات, وأخبرهم بأنّهنّ لا ينبتن شيئاً، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء, ولهذا قال: ﴿ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ . ﴾[1] يوسف/ ٤٨ .

وهكذا تكاملت في هذه الخِطّة كل مقومات التدبير والتخطيط الناجح ، لإخراج مصر من مخاطر السنين السبع العِجاف التي مرت في أيام العزيز, ولذلك فمن فوائد التخطيط العمل على تجميع الجهود وتنسيقها بعد رسم الأهداف والسعي إلى تحقيقها[2].

كما وأنّ التخطيط يساعد على توفير الأوقات والطاقات بدلاً من إهدارها في الارتجال والعشوائية, إذ أنّهُ يُساعد على إنجاح العمل وإتقانه, والوصول إلى مقصوده بأقصر الطرق, وبأقل مجهود[3]. وفي ذلك يقول الخالق سبحانه وتعالى : ﴿ قَنَ

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٣/٩ , وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٩٢،٣٩٣ .
(2) ينظر: الدعاة والتخطيط : ١٥.
(3) ينظر: المصدر نفسه.

الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ ... ﴾ التوبة/١٠٥ , فالعمل هو محك الصدق, ومناط الحُكم والجزاء, والإسلام منهج حياةٍ واقعيةٍ, تتطلب الحركة ويحدد قيمة العمل[١]. وكل عملٍ فلا بدّ له من تخطيط , وعلى المسلمين أن يُدركوا (إنّ العمل الدائب هو عبادةً لله تعالى, وأنّهم مأمورون ديناً أن يتحركوا, وأنّهم سيحاسبون إذا فرّطوا وقصروا)[٢]. فالعمل روح الاسلام, والاسلام (دين التخطيط والنظام, تخطيطٌ مستمرٌ يسبق الزمن ويتعدّاه , ونظامٌ دقيقٌ ومتكاملٌ في مجالات الحياة كلّها)[٣].

٢. اعتماد مبدأ الشورى .

جاءت الشورى في الاصطلاح بمعنى التّشاور والمُشاورةُ والمشُورةُ، والتي تدل على استخراج الرأي بمراجعه البعض إلى البعض، فالشورى هي الأمر الذي يُتشاور فيه[٤]. قال الله تعالى: ﴿ ...الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ ... ﴾الشورى/٣٨. وجاءت الشورى بمعنى الإجماع على الأمر، ليستشير كل واحدٍ منهم صاحبه ويستخرج ما عنده[٥]. والرأي النابع من الشورى رأي استُخرج من التفكّر في الموضوع بتقليبه على وجوهه المختلفة، وبقدح زناد العقول وكدٍّ للأذهان، وشحذ للأفكار ليُستخرج منها أجود الآراء وأفضلها وأحسنها، كما يشور الإنسان العسلَ من الخلية ويستخرجه منها، وهو أجود

(١) ينظر: في ظلال القرآن : ٣/ ١٧٠٨.
(٢) الإسلام والتنمية الاجتماعية : ٨.
(٣) نحو كلمةٍ سواء وحوار كريم: ٢٨٢.
(٤) ينظر: المفردات: ٢٧٣ .
(٥) ينظر: الشورى في القرآن الكريم : ٥١.

ما فيها وأفضله وأنفعهُ، فالأفكار والآراء لا تجتمع ولا تتكامل وتتناسق إلا عن طريق الشورى[١].

والشورى قاعدةٌ من قواعد الإسلام, وأساساً من أُسس الإصلاح، وسِمةً من سِمات المجتمع الإسلامي, ودعامةً هامةً من دعائم تحقيق الجودة في نظام الحُكم والقضاء وسائر أمور الحياة، فالشورى مبدأ يتخلل الحياة الإسلامية في مستوياتها ومجالاتها المختلفة، بدءاً من الأمور الجزئية في العلاقات بين الوالدين، وحتى بعد الانفصال أوجب الله عليهما التشاور في شأن فطام الطفل الرضيع، قال الله تعالى: ﴿... الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ... ﴾ البقرة/٢٣٣. (ويؤخذ منه أنّ انفراد أحد الوالدين دون الآخر بقرار فطام الطفل قبل الحولين لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر)[٢].

(وإذا كان القرآن يُرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الولد، ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر، فهل يُبيح لرجلٍ واحدٍ أن يستبدَّ في الأمة كلها، وأمر تربيتها وإقامة العدل فيها أعسر ورحمة الأمراء أو الملوك دون رحمة الوالدين بالولد أنقص؟!)[٣]. وهذا يعني أنّه لا يُباح لشخص مهما كان موقعه في المجتمع الإسلامي أن يستبد برأيه في الجماعة صغرت أو كبرت في حجمها، عظم أو هان الأمر الذي تسعى للبت فيه.

---

(١) ينظر: الشورى في القرآن الكريم : ٥١ .
(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٦٣٥ .
(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار: ٢ / ٤١٤ .

والشورى وإن كانت من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام[١]. إلا أنّها ليست مطلقةً، بحيث تمتد إلى كل أمرٍ من أمور الدين، وإنّما تجب فيما لم يقطع فيه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الحُكم، وأمّا ما قطع فيه القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهّرة بحكمٍ أو رأيٍ فهو خارج عن نطاق الشورى، ولذلك جاء في تفسير قول الله تعالى ﴿ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ ﴾ الشورى/ ٣٨. والمراد من الأمور التي تقع فيها المشورة هو (أمر الأمة الدنيوي الذي يقوم به الحُكّام عادة، لا أمر الدين المحض الذي مداره على الوحي دون الرأي، إذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات والحلال والحرام مما يُقرر بالمشاورة لكان الدين من وضع البشر)[٢].

٣. التعاون على البر والتقوى .

مما لا شكَّ فيه أنّ الاصلاح لن يتحقق إلا بالتكاتف والتعاون على العمل الصالح, وترك الفساد وإزالته أو القضاء عليه، ولذلك أمر الإسلام أتباعه بالتعاون في كل خير, ودفع كل شر عن أبناء المجتمع، ذلك التعاون الذي يُحقق رضا الله تعالى والإصلاح في المجتمع، إذ أنّ تعاون الأفراد في العمل يُساعد على تحقيق الإصلاح وزيادة الإنتاج ومنع الأخطاء وتجويد الأداء وتحسينه .لذلك كانت الدعوة في القرآن الكريم صريحةً إلى التعاون على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿ ... التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٧٦ .
(٢) تفسير المنار : ٤ / ١٩٩ . ٢٠٠ .

القِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ المائدة/٢. والتعاون: معناه تبادل المعونة، ويكون في الخير بمدِّ يدّ المعونة للآخرين، وكل يجود بما عنده لأخيه، فالعالم يجود بعلمه، والشجاع القوي يدافع عن الضعف، والعامل يجود في عمله تحقيقاً للإصلاح[١].(فالضمير والمفاعلة في قول الله تعالى ﴿... الْعِقَابِ ... ﴾ [المائدة/٢] للمسلمين، أي ليعن بعظكم بعضا على البر والتقوى، وفائدة التعاون تيسير العمل، وإظهار الاتِّحاد والتناصر، وتوفير المصالح, حتى يصبح ذلك خلقاً للأمة)[٢]. والتعاون أمرٌ ضروريٌ لتسيير دولاب الحياة, وتحقيق الإصلاح, كي يستفيد الإنسان من كل المواهب لقاء إخلاصه في أداء عمله وتعاونه مع الآخرين، والتعاون أمر ضروري لإقامة شرع الله في أرضه، وعمارتها، إذ أنّ عمارة الأرض لا تأتي إلا بالحركة والتعاون وتكاتف الطاقات وتحقيق الإصلاح[٣].

المطلب الثالث: الصدق في القول والعمل

أولاً : تعريف الصدق .

يُعرّف الصدق بأنّه : (مطابقة الكلام للواقعِ)[٤], وحقيقة الصدق:(هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه)[١], وهو(استواء الظاهر والباطن في الاستقامة على الصراط المستقيم)[٢].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير : ١ / ٢٠٢٦ .
(٢) التحرير والتنوير : ٦ / ٨٨ .
(٣) ينظر: تفسير الشعراوي :٥/٢٩١٣ .
(٤) التعريفات : ٥٨ .

ثانياً : **أهميّة الصدق والحاجة إليه** .

نظراً لأهميّة الصدق وعلّو شأن صاحبه عند الله سبحانه وتعالى لما له من أثرٍ كبيرٍ في حياة الفرد والمجتمع, ولأثره الكبير في تحقيق الجودة والإتقان, فقد أوصى الله سبحانه وتعالى عباده بالالتزام به في كل الأحوال والأعمال ، قال الله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ التوبة/ ١١٩.

فقول الله تعالى﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ... ﴾ التوبة /١١٩, (أي مع الذي صدق في قوله وعمله وسرّه وعلانيته)[٣]. (وهم الذين صدقوا في دين الله نيّةً وقولاً وعملاً ، أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة)[٤]. والمتأمل لهذه الآية يجد أنّ الله تعالى أمر عباده بضرورة التزام الصدق والتمسك به في جميع الأحوال والأقوال والأعمال , والشاهد في ذلك هو ورود كلمة﴿ بِٱللَّهِ ﴾ في هذه الآية, فقال الله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾التوبة/١١٩, ولم يقل[وكونوا صادقين]حيث أنّ ورود كلمة﴿ بِٱللَّهِ ﴾ في هذه الآية تقتضي الصُحبةُ في الحال, والمشاركةُ في الوصف المقتضي للمدح , والتي تقتضي من المؤمنين ضرورة أن يكونوا من أهل الصدق في جميع الأحوال والأقوال والأفعال[٥] .

وقول الله تعالى ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ أمرٌ من الله للذين آمنوا بأن يؤمنوا بالله، وبما أمر الله به, وأن يقوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله، باجتناب ما نهى

---

(١) مدارج السالكين: ٢/٢٧٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن : ١٠٦٣ .
(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٠٧/٦, والنكت والعيون : ٢ / ٤١٤ .
(٤) الكشاف : ٢ / ٣٠٦ .
(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٣٠/٣, والبحر المحيط: ٢٤٣/٦.

عنه والبعد عنه، ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم, أي الذين لا تكون أقوالهم إلا صدقاً، و لا تكون أعمالهم وأحوالهم إلا صدقاً, خاليةً من الكسل والفتور، سالمةً من المقاصد السيئة، مشتملةً على الإخلاص والنيّة الصالحة الموصِلة إلى إكمال العمل وإتقانه والإجادة فيه[1] .

ونظراً لأهميّة الصدق وأثره في تحقيق أقصى مراتب الجودة والإتقان فقد حثّ القرآن الكريم على الصدق في كل الأعمال التي يُفترض أن يقوم بها الإنسان ويفهم ذلك من خلال قول الله تعالى ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ البقرة/ ١٧٧.

المطلب الرابع

اعتماد الصبر عند أداء الأعمال

---

(1) ينظر: تفسير روح المعاني: ١١/٤٥.

أصل الصبر في اللغة يدل على معنى الإمساك والمنع والحبس[١].

والصبر في الاصطلاح يعرف بأنه (منع النفس محابّها وكفّها عن هواها ، ولذلك قيل للصابر على المصيبة صابر ، لكفّه نفسه عن الجزع)[٢].وترجع أهميّة الصبر والحاجة إليه كونه الأساس الذي يقوم عليه صلاح الأعمال وإتمامها للوصول إلى مرتبة الجودة والإتقان التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها في ميدان العبادة أو المعاملة حتى ينال رضا الله سبحانه وتعالى، ويرجع ذلك كلّه إلى عناية القرآن الكريم بذكره والاهتمام به من خلال النصوص القرآنية التي ذكرته والتي تربو على مئة موضعاً[٣] فالصبر خُصلةٌ محمودةٌ، وسجيّة مرغوبة، وخلقٌ جميل، تأتي أهميته والحاجة إليه من كونه أساس كمال الأشياء وتمامها، وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية: (وإذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم رأيتها كلّها منوطة بالصبر وإذا تأملت النقصان الذي يُذم صاحبه عليه رأيته كلّه من عدم الصبر، فالشجاعة والعِفّة، والجود والإيثار، كلّه صبر ساعة، وأكثر اسقام البدن والقلب إنّما تنشأ من عدم الصبر، فما حفظ صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر)[٤] .

وتأتي أهميّة الصبر والحاجة إليه من خلال كونه من أهم عناصر تحقيق الجودة والإتقان فالصبر على طاعة الله يقوم على المجاهدة والمثابرة على العبادة، والمطلوب في هذا المقام القيام بواجب العبودية لله تعالى، وذلك لأنّ النفس البشرية بطبيعتها تنفر عن كثير من العبادات لأنّها تستثقلها وتشقُّ عليها ، وعلى ذلك

---

(١) ينظر : العين : ٧ / ١١٥ ، ولسان العرب : ٤ / ٤٣٧, مادة (صبر).
(٢) جامع البيان : ١ / ١١ .
(٣) ينظر: المعجم المفهرس : ٤٩١ . ٤٩٣ .
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٤ / ٣٠٤ .

فالصبر هو العامل الذي يدفع بالإنسان إلى أدائها والإجادة فيها ، كما قال الله تعالى ﴿ يَبَنِي الصَّافَّاتِ صَفًّا الزَّمِخْشَرِ غَافِلٍ ... ﴾ طه/١٣٢, فهذا أمرٌ من الله تعالى بالاصطبار على مداولتها وعلى مشاقّها لأجل أدائها بكمالها وتمامها دون تهاونٍ أو تكاسل حتى يتحقق بذلك الصبر جودتها وإتقانها بالتمام والكمال[١].

إذ أنّ العبد إذا اصطبر على الصلاة أدّاها على الوجه المأمور به شرعاً ، وذلك بإقامتها بحدودها وأركانها وآدابها بخشوعها وسجودها ، وأنّ ذلك لن يتحقق إلا بالصبر عليها لما في ذلك من مشقةٍ على النفس ، ولذلك ينبغي الاصطبار على أدائها ، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به شرعاً، كان تأديته لما سواها من دينه أحفظ وأقوم ، وإذا ضيّعها كان لما سواها أضيع[٢].

وكذلك هو الحال مع الزكاة فإنّ النفس تستثقل إخراجها بسبب البخل أوالشُح فإذا اصطبر العبد على إخراج الزكاة فقد حقق بذلك جودة عبادته في أداء هذه الفريضة ، واستأثر على نفسه بمنعها شُحّها الفطري ، قال الله تعالى:﴿ ... الْأَنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْأَشْقَى الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ ﴾الحشر/٩.وعلى ذلك فالصبر على طاعة الله تعالى يكون بالمحافظة على أداء العبادات والاصطبار عليها والاخلاص فيها ووقوعها على مقتضى الشرع, وهو أساس الجودة والإتقان[٣] .

(والصبر من الصفات اللازمة لكل إنسان، إذ بدونه لا يستطيع الانسان بلوغ ما يريد، لأنّ المُراد لا يُنال غالباً إلا بتحمل المكاره وحبس النفس عليها، وهذا مطرد في

---

(١) ينظر البحر المحيط : ٦ / ٢٧٠ .
(٢) ينظر: تفسير الشعراوي: ٩٤٥٨/١٥.
(٣) أصول الدعوة : ٣٤٨ . ٣٤٩ .

جميع أمور الحياة، فالطالب يحبس نفسه في المذاكرة والدرس وكف نفسه عما تهواه من لذّةٍ وراحةٍ حتى يستوعب الدرس لينجح في الامتحان، وكذلك التاجر وكذلك أي صاحب غرض يريد نواله)[١]. (وما يقال عن الأفراد يقال عن الأمم ، فالأُمّة التي تريد بلوغ ما تصبو إليه تحتاج إلى صبر عظيم وتحمل المشاق، والانتصار في الحروب يكون بجانب الذي يملك أعظم أسبابه الصبر, ... وإذا كان الصبر ضرورياً لأي إنسان, لا سيما المسلم، فإنّ الصبر للداعي المسلم أشد ضرورةً له من غيره، لأنّه يعمل في ميدانين ميدان نفسه، فيجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة إلى الله ومخاطبة الناس في موضوعها، ... حتى يستطيع تجاوز العقبات وتحمل الأذى، فإن فقد الصبر قعد أو انسحب من الميدان وحق عليه الحساب وفاته الثواب)[٢].

ومن خلال ذلك كلّه تتبين وبكل وضوح أهميّة الصبر وكبير أثره في تحقيق الجودة والإتقان ولجميع جوانب الدين والدنيا، إذ أنّ الصبر يعدُّ الأساس الذي لا بدّ منه لتحقيق أقصى غايات الجودة والاتقان، وعلى ذلك فإنّه من الواجب على الأفراد والجماعات اعتماد الصبر أساساً في حياتهم وشعاراً لتحقيق جودة أعمالهم، وطريقاً يسلكونه لتحقيق النجاح في الدنيا والفوز برضا الله تعالى في الدار الآخر، قال الله تعالى:﴿ الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان ﴾ الرعد/ ٢٤ .

---

(١) أصول الدعوة : ٣٤٩ . ٣٥٠ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٠ .

المطلب الخامس: أداء الأمانة

الأمانة مصدر أمِنَ يأمنهُ أمانةً، أي وثق به واطمأن إليه ولم يخنهُ، والأمين: هو الثقة المؤتمن، قال ابن فارس(رحمه الله): (الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق)[١]. والأمين مأخوذ من الأمن الذي هو ضد الخوف، لأنّ الأمانة لا يخاف عليها لأنّها توضع عند أمين، والأمين: ثقة لا يخون[٢] .

والأمانة في الاصطلاح الشرعي بأنها ضد الخيانة، قال الراغب(رحمه الله): (والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويُجعل الأمان أسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً أسماً لما يؤتمن عليه الانسان نحو قول الله تعالى: ﴿ ...ٱللَّهَ ٱلرَّحۡمَٰنِ... ﴾ الأنفال/٢٧.أي ما ائتمنتم عليه)[٣]. وعلى ذلك تعرّف الأمانة بأنّها:(صيانة الإنسان كل ما ينبغي صيانته من حقوق أو فروض أو واجبات أو حدود أو أشياء مادية أو معنوية، سواء كانت لله أو للناس)[٤].

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأداء الأمانات بقوله تعالى ﴿ ٱلدُّخَانِ ٱلۡجَاثِيَةِ ٱلۡأَحۡقَافِ مُحَمَّدٍ ٱلۡفَتۡحِ ٱلۡحُجُرَٰتِ قٓ ٱلذَّٰرِيَاتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجۡمِ ٱلۡقَمَرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلۡوَاقِعَةِ ٱلۡحَدِيدِ ٱلۡمُجَٰدِلَةِ ٱلۡحَشۡرِ ٱلۡمُمۡتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ٱلۡجُمُعَةِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ٱلتَّغَابُنِ ٱلطَّلَٰقِ ٱلتَّحۡرِيمِ ٱلۡمُلۡكِ ٱلۡقَلَمِ ٱلۡحَآقَّةِ ٱلۡمَعَارِجِ ﴾ النساء/٥٨. والخطابُ عامٌ لكل إنسان

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ١ / ٣٣, مادة(أمن).
(٢) ينظر: القاموس المحيط : ٦ / ٣٩٠, ولسان العرب: ٢١/١٣, مادة (أمن).
(٣) المفردات : ٣٥ .
(٤) موسوعة أخلاق القرآن: ٢ / ١٥.

وفي كل أمانة، ومعنى الآية (إنّ الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين أن تؤدّوا ما ائتمنكم عليه رعيتكم من فيئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم إليهم على ما أمركم الله به بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له بعد أن تصبح الأمانات في أيديكم لا تظلموها أهلها ولا تستأثروا بشيءٍ منها في غير موضعه ولا تأخذوها إلا ممن أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصير في أيديكم ، ويأمركم إذا حكمتم بين رعيّتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف ، وذلك حُكم الله الذي أنزله في كتابه وبيّنه على لسان رسوله [ﷺ] لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم)[١]. وهذا هو أساس تحقيق الجودة والإتقان في أداء الحقوق لأصحابها ورد المظالم لأهلها، والحُكم بين الناس في السويّة, والعدل بينهم في القضية دون ظلمٍ لأحدٍ منهم أو تفريقٍ الحُكم بينهم[٢].

قال الرازي (رحمه الله) : (أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات أو من باب الدنيا والمعاملات)[٣] وعلى ذلك فأداء الأمانة يُعد من أهم عوامل وأسس تحقيق الجودة والإتقان وفي جميع جوانب الحياة وأشكالها ، وذلك لكون أداء الأمانة لازمٌ في كل الأمور، قال ابن مسعود(رضي الله عنه): (الأمانة في الكل لازمةٌ، في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم)[٤], فأمانة اللسان أن لا يستعمله صاحبه في الكذب أو الغيبة أو النميمة أو في الكفر والبدعة والفُحش وغيرها، وأمانة العين أن لا يستعملها في النظر إلى الحرام، وأمانة الأذن السمع وأداء أمانتها هو أن لا يستعملها صاحبها في الفُحش والأكاذيب والمحرمات، وكذا القول في سائر, أعضاء الإنسان، ثم الأمانة

---

(١) جامع البيان : ٨ / ٤٩٤ .
(٢) ينظر : المصدر نفسه: ٤٩٢/٨ .
(٣) مفاتيح الغيب : ١٠ / ١١١ .
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢ / ٤٣٣ .

مع سائر الخلق، ويدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف، وترك نشر عيوب الناس وإفشاء أسرارهم.

ويدخل في أداء الأمانة عدل الأمراء مع الرعية، والعلماء مع العوام بأن يرشدوهم إلى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والأخلاق غير الفاضلة، وتشمل الأمانة أمانة الزوج للزوجة في ماله وفي بضعها وأمانة الزوجة في إيفاء حقوقها وحظوظها، ويدخل في ذلك أمانة الصاحب لصاحبه والجار لجاره[١].

ومن الأمانات المتعلقة بين العبد وسائر الناس الآخرين هي أمانة المعاملات والودائع المالية، ويتحقق أدائها بأن تُردّ إليهم ودائعهم وتُحفظ لهم حقوقهم وعدم اغتيابهم ولا غشّهم، وإن كان حاكماً فالشعب أمانةٌ في عنقه، ومن الواجب عليه أن يحكم فيهم بما أنزل الله، وأن يتّقي الله فيهم وذلك بامتثال أمره والاهتداء بسنة النبي محمد (ﷺ) فلا يُسند أمراً لغير أهله ولا يضيّع حقاً ولا يغشَّ مسلماً, ولا يقبل رشوةً, ولا يأكل أموال الناس بالباطل، وأن لا يدّخر وسعاً في السهر على مصلحة الناس واعطائهم حقوقهم، وأن يُرشد الناس إلى الخير وطريق الحق، وأن يوقفهم على أسرار الشرع حتى يتمسكوا بتعاليم الدين، وإلا أعتبر مُقصّراً في واجبه إن لم يكن خائناً للأمانة[٢] .

وعلى ذلك فإنّه من الواجب على المسلم هو حفظه للأمانة, وعدم التهاون في أدائها على وجه الكمال والتمام, وعدم خيانتها, إذ أنّ خيانة الأمانة سببٌ من أسباب

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

(٢) ينظر : جامع البيان: ٨/ ٤٩٢. ٤٩٣, وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٣٨, والتفسير الواضح : ١ / ٢٨ ، ٢٩ .

بغض الله تعالى لعباده، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿...النَّمْلَ الْقَصَصَ الْعَنكَبُوتَ الرُّومَ لُقْمَانَ ﴾ الأنفال/٥٨. وقال الله تعالى: ﴿...بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾ النساء/١٠٧.

المطلب السادس: استشعار مبدأ المراقبة والمحاسبة الإلهية

أولاً : استشعار مبدأ المراقبة الإلهية .

المراقبة في اللغة: من رقَب الشيء يرقبهُ: يحرسهُ، ورقيب القوم : حارسهم، ورقبت الشيء: إذا رصدتهُ، وراقب الله في أمره: أي خافه. والرقيبُ: هو الحافظُ الذي لا يغيب عنه شيء، والرقيبُ: الحفيظ اسم من أسماء الله الحسنى[١].

والمراقبة في الاصطلاح: هي (دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدمته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأنّ الله رقيب عليه ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلعٌ على علمه في كل وقت، وكل لحظة, وكل نفس ، وكل طرفة عين)[٢].

وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تدعوا المؤمن إلى أن يستشعر مراقبة الله تعالى عند أداءه للأعمال التي يقوم بها ، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ ﴾التوبة/ ١٠٥. فالله تعالى رقيب على عباده ، بصير بأحوالهم لذلك فالمسلم المُتقن لعمله

---

(١) ينظر: الصحاح : ١ / ٢٦٤ ، ولسان العرب : ١ / ٤٢٤ , مادة (رقب).
(٢) مدارج السالكين : ١ / ٤٨٣ .

هو المسلم الذي يُراقب الله في نفسه وفي عمله رقابةً ذاتية، قال الرازي (رحمه الله) : (هذا ترغيبٌ عظيم للمُطيعين ، وترهيبٌ عظيم للمذنبين ، فكأنّه تعالى قال : اجتهدوا في المستقبل، فإنّ لعملكم في الدنيا حُكماً, وفي الآخرة حُكماً. أما حُكمه في الدنيا: فهو أن يراه الله [تعالى] ويراه الرسول [ﷺ] ويراه المسلمون، فإن كان طاعةً حصل الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وإن كان معصيةً حصل منه الذمُ العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة)[١].

ومن الآيات الدالّة على حقيقة إطلاع الله تعالى على جميع أعمال العباد , وضرورة استشعار مبدأ المراقبة الإلهية عند أدائها، قول الله تعالى ﴿ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ ... ﴾يونس/٦١. والخطاب للنبي محمد (ﷺ) والمراد به أمّته، أي وما تكون يا محمد (ﷺ) أنت ولا أحدٍ من أُمّتك في عمل من الأعمال إلا وكنّا عليكم شهودا[٢].

واستشعار المراقبة عند الشروع في العمل أمرٌ مطلوب، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله تعالى فيه ويُحسن النيّة في إتمامه ويكمّل صورته، ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه، وهذا ملازمٌ له في جميع أحواله عن حركة وسكون، فإذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنيّة وحُسن الفعل ومراعاة الأدب[٣] .

---

(١) مفاتيح الغيب : ١٦ / ١٤٩ .
(٢) ينظر: معالم التنزيل : ٦٠٣ . ٦٠٤ ، والمحرر الوجيز : ٩١٥ .
(٣) ينظر: إحياء علوم الدين : ٢ / ١٧٠٩ .

وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى عن عموم مشاهدته واطلاعه على جميع أحوال العباد وحركاتهم، وسكناتهم، وفي ضمن هذا الدعوة إلى مراقبته على الدوام، فقال الله تعالى: ﴿ الْحَشْرِ الْمُتَحَنَّةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ ﴾ أي: في أي حال من أحوالك الدينية والدنيوية، ﴿ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾أي : وما تتلوا من القرآن الذي أوحاه الله إليك، ﴿ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ ﴾صغيراً أو كبيراً ﴿ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ أي: وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به، فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وأيّاكم وما يكره الله تعالى، فإنّه مطلعٌ عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم[١].

والشعور بالمراقبة الإلهية الدائمة والشاملة لكل أحوال وأفعال الإنسان في كل زمان ومكان ترفع من شعور الإنسان بمسؤوليته تجاه أعماله، لأنّ التبعة فردية، والحساب شخصي، وكل نفسٍ مسؤولة عن نفسها، ولن تغني نفسٌ عن نفسٍ شيئاً قال الله تعالى:﴿ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ ... ﴾البقرة/٤٨, (وهذا المبدأ الإسلامي العظيم مبدأ التبعة الفردية القائمة على الإرادة والتمييز من الإنسان، وعلى العدل المُطلق من الله، وهو من أقوى المبادئ التي تُشعر الإنسان بكرامته، والتي تستجيش اليقظة الدائمة في ضميره)[٢]. ويحوّل إحساس المسلم بالرقابة الإلهية الدائمة إلى الشعور بالمسؤولية عن أي عمل أو واجب يؤديه من كونها مسؤولية أمام الناس إلى كونها مسؤولية أمام الله تعالى، فالعامل المسلم المؤمن التقي يعتقد أنّ مسؤوليته عن أداء عمله على الصورة المُثلى إيقاناً واحتراماً

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ١١٥, و تفسير القرآن العظيم: ٢٧٧/٤.
(٢) في ظلال القرآن : ١ / ٧٠ .

للوقت ووفاءً بالمواعيد وأمانةً ونُصحاً في أي مكان أو مجال من مجالات الحياة هي في المقام الأول مسؤولية بين يديّ الله تبارك وتعالى[١].

وعندما يشعر العبد بمراقبة ربّه له فإنّه سيُحاسِب نفسه عن أداء أعماله بكل جودة وإتقان ، وإنّ هذه المُحاسبة ستكون نابعةً من ذاته ، لأنّه يشعر دائماً بالرقابة على تصرفاته ، سواء رآه الناس أو كان بعيداً عن أعين الناظرين ، ولأنّه يطمع في رضوان الله ويخاف من عقابه ، لأنّه يعلم أنّ كل نفسٍ مرهونةٍ بكسبها مأخوذةٍ بعملها إما خلّصها وإما أهلكها[٢].

ومن خلال ما تقدّم أرى أنّ استشعار مبدأ المراقبة الإلهية أمرٌ ضروري وأساسي في مجال تحقيق الجودة والإتقان فعندما يستشعر العبد بأنّ الله تعالى يُراقبه ويشاهده في كل حال وفي كل عمل يقوم به، فعند ذلك سيقوم بتأدية الأعمال التي توكل مهمة أدائها لذلك العبد على أتم وجه وأكمله, طمعاً في رضوان الله تعالى وخوفاً من عقابه. وأنّ ذلك كلّه يعتمد بدرجة كبيرة على قوة الوازع الديني المُنبعث من العقيدة الإسلامية فمتى ما كان الوازع الديني قويّاً لدى المسلم مُسيطراً على نفسه وأخلاقه عند ذلك سوف يستحضر مفهوم المراقبة الإلهية، إذ أنّ العقيدة الإسلامية هي وحدها التي تبلغ بالمرء هذه المرتبة من الاستحضار والاستشعار للمراقبة الإلهية، وهي التي تجعل الإنسان رقيباً على نفسه في جميع أفعاله وأعماله، وفي ذلك يقول الماوردي (رحمه الله): (أول ما تصلح به الدنيا الدين، لأنّه يصرف النفوس عن شهواتها، ويعطف القلوب عن إرادتها، حتى يصير قاهراً للسرائر زاجراً

---

(١) ينظر: حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية : ١٤٠ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ٨٦ .

للضمائر، رقيباً على النفوس في خلوتها، نصوحاً لها في ملماتها)[١]. ولذلك فالعمل الذي يؤديه المسلم ويُراقب فيه ربّه ينطوي على مُتعةٍ نفسيةٍ هي متعة التقرب إلى الله تعالى، وهذه المتعة تفوق المتعة المادية، وبالتالي يبرز العمل إلى الوجود مُتقناً فضلاً عن خلوّه من الغِشّ والخداع[٢].

ثانياً : استشعار المُحاسبة الإلهية .

المحاسبة مأخوذةٌ من الحساب، وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وما عليه. والحسيب هو المحاسب، والحسيب: أسم من أسماء الله الحسنى، ومن ذلك قول الله تعالى﴿ ...التِّينِ الْعَلَقِ الْقَلَمِ ﴾النساء/٦.أي: محاسباً[٣].

إنّ استشعار مبدأ المحاسبة الإلهية أمرٌ ضروري يدفع بالفرد نحو إتقان أعماله والإجادة فيها، والمحاسبة تشمل كل تعهدٍ أخذه الإنسان على نفسه، وكل واجبٍ أقرَّ به ورضي به على نفسه، والفرد المسلم يستقر بوجدانه أنّه موقوف أمام الله تعالى للمساءلة والحساب على كل أحواله وأعماله، قال الله تعالى:﴿ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ ﴾ الصافات/٢٤. أي قفوهم للحساب فإنّهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم[٤]. وعند ذلك يدرك الإنسان أنّ الله تعالى سوف يسأله عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، قال الله تعالى:﴿ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ

---

(١) أدب الدنيا والدين:١١١ .
(٢) ينظر: حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية : ١٤٤ .
(٣) ينظر: القاموس المحيط : ١ / ٩٤ ، ولسان العرب : ١ / ٣١٠ , مادة (حسب).
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٧٤ ، وفتح القدير: ٢ / ٥٠٢ .

التَّكْوِيرِ الِانْفِطَارِ ﴾ الإسراء/٣٦،(أي أنّه يسأل عن كل واحد منهم عما اكتسب, فالفؤاد يُسأل عما افتكر فيه واعتقد، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع)[١].

وعندما يدرك المسلم حقيقة الحساب وحتميّة الوقوف بين يدي الله تعالى للمُسألة والمُحاسبة عن أعماله وأحواله فإنّه سيكون عند ذلك على يقين جازم بعدالة الجزاء والمحاسبة، قال الله تعالى: ﴿ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾ البقرة/٢٨١ .

ومن مظاهر عدل الجزاء الإلهي أن يستشعر الإنسان دقّة الحساب وشدّة حساسية الميزان لكل أعمال الإنسان وإن كانت أخف من حبة الخردل وأصغر من حجم الذرّة ، قال الله تعالى: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ الأنبياء/٤٧. والحبّة من الخردل تصور أصغر ما تراه العيون، وأخفّه في الميزان، والمراد من ذلك هو بيان دقّة الحساب وشدّته وإن كان ذلك العمل في غاية القلّة والحقارة[٢].

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ ﴾ ﴿ سُورَةُ . الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ ﴾ الزلزلة/٧– ٨. وعندما يكون الجزاء حتى على الذرّة فعندئذ لا يحقر الإنسان شيئاً من عمله خيراً كان أو شراً، ولا يقول هذه صغيرة لا حساب عليها ولا وزن. وعند ذلك يؤدي الإنسان عمله الذي يوكل إليه بأعلى جودةٍ وإتقان,

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٥٩ .
(٢) ينظر: تفسير روح المعاني : ١٧ / ٥٥ .

خوفاً من حساب الله وعقابه, وطمعاً في نيل رضاه سبحانه وتعالى والفوز برحمته وحُسن ثوابه(١).

(وعند ذلك يندفع المؤمن إلى العمل بحافزٍ من نفسه، وباعثٍ من ذاته ، بإيحاء ينبعث من داخله لا سوطاً يسوقه من الخارج. وذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله وبرسالة السماء، وبمهمته في عمارة الأرض والسيادة على الكون، إذ أنّ المؤمن يوقن أنّ السعادة في الآخرة والنجاح في الأولى موقوفٌ على العمل. فالجنّةُ في الآخرة ليست جزاءً لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجد والعمل والإتقان, قال[الله]تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ ٱلْغَبَابِنُ ٱلطَّلَاقِ ٱلتَّحْرِيمِ ٱلْمُلْكِ ٱلْقَلَمِ ٱلْحَاقَّةِ﴾ [الزخرف/٧٢])(٢).

وعلى ذلك فإنّ استشعار مبدأ المراقبة والمحاسبة الإلهية يدفع بالمؤمن إلى إخلاص النيّة في العمل وإتقانه مما يدفعه إلى زيادة الإنتاج (ونعني بالإنتاج هنا: الإنتاج الاقتصادي بخاصة، والإنتاج المادي والمعنوي بعامة، وذلك أنّ بعض الناس يُخيّل إليه أنّ الإيمان بالدين وعقائده قد يؤخر عجلة الإنتاج أو يعوقها في سيرها وحركتها، بما يميت في النفوس من حب الحياة والرغبة في العمل والاهتمام به، فكم يخسر المجتمع، وتتأخر الحياة، إذا شاع فيها هذا اللون من الإيمان ؟ وهذه أوهام أشاعها الجهل في الدين والإيمان، والحقيقة أنّ الإيمان أعظم دافع للإنتاج لو تأمل الناس وأنصفوا، فالإنتاج لا ينمى ويزداد إلا بما يبذل الناس من جهدٍ وعمل، وما يصحب هذا العمل من إحكام وإتقان)(٣).

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن : ٦ / ٣٩٥٦ .
(٢) الإيمان والحياة : ٢٥٦ .
(٣) الايمان والحياة : ٢٥٥ .

وهذا كلّه لن يتحقق إلا في ظل استشعار مبدأ المراقبة والمحاسبة الإلهية مما يدفع بالمؤمن إلى الإخلاص في عمله وإتقانه وإحكامه على أتم وجه وأكمله مما يدفعه إلى زيادة الإنتاج من خلال تحقيق الجودة والإتقان لجميع الأعمال التي يقوم بتأديتها على الوجه الأكمل والأصوب، وبذلك يكون الإسلام قد وضع منهجاً عملياً لتزكية النفس الإنسانية من خلال تحديد مفهوم مبدأ المراقبة والمحاسبة الإلهية واستحضاره في كل عمل يؤديه المسلم، وهذا المبدأ الذي يقوم المسلم إلى محاسبة نفسه والميل إلى الأعمال الصالحة والصدق والإتقان والإخلاص وتجنب الإساءة في العمل[١]. ومن خلال ما تقدّم يتبيّن وبكل وضوح أنّ استشعار مبدأ المراقبة والمحاسبة عاملٌ يدفع المسلم إلى ضرورة إتقان عمله والإجادة فيه وإحكامه على أتم وجه وأكمله.

(١) ينظر: الفكر الاقتصادي بين المدارس الوضعية والمدارس الإسلامية : ٣٣٦.

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال ما تقدّم أجد لزاماً عليَ أن أُسجل أهم النتائج التي تم التوصل اليها من خلال البحث والدراسة.

أولاً: إنّ الإنسان المسلم مُطالبٌ باستيفاء شروط الخلافة في هذه الأرض، والسعي في مناكبها عبادةً لله تعالى، وإعماراً للأرض، والاستفادة مما فيها من ثروات وخيرات, والإنسان لا يصل إلى هذه المرتبة إلا بالعمل, بل والعمل الجاد المُتقن حتى تصبح الجودة جزءاً من سلوك المسلم وصفةً من صفاته.

ثانياً : إنّ الجودة ليس المطلوب أن يكون هدفاً سلوكياً فحسب، بل لابدَّ من أن يكون ظاهرةً حضاريةً تؤدي إلى رقي الجنس البشري، فعليه تقوم الحضارات، ويعمر الكون، وتزدهر الحياة، ثم قبل ذلك كلّه هو هدفاً من أهداف الدين الإسلامي الحنيف, والذي من خلاله يسمو به المسلم ويرقى الى كسب مرضاة الله تعالى.

ثالثاً: إنّ ما نلحظه اليوم في مجتمعاتنا من أسباب التخلّف والانحطاط ، ما ذلك كلّه إلا بسبب تجاهل مجتمعاتنا الإسلامية لمفهوم الجودة, سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وانتشار الصفات المناقضة لهذا المفهوم . مفهوم الجودة والإتقان . كالفوضى في أداء العمل والتسيّبُ، وفقدان النظام, وعدم المبالاة بقيمة الوقت، واختفاء الشعور بالمسؤولية تجاه معظم الأعمال التي يقوم بها المسلمون, فضلاً عن انتشار ظاهرة الغِشّ والخديعة وضياع الأمانة، الأمر الذي أدّى بدوره إلى فقدان المسلمين إلى هذه الصفة . صفة الجودة والإتقان . ومما نتج عن ذلك هو فقدان المسلمين للثقة في كل ما يُنتج في بلادهم من سلعٍ ومنتجات مع ثقتهم فيما ينتج في غير بلاد المسلمين .

خامساً: جاءت هذه الدراسة لتُقدّم للمسلمين أهم الأسس والوسائل التي تساعد المسلم على تحقيق مفهوم الجودة ولمختلف نواحي الحياة وجميع مجالاتها.

قائمة المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

١. أثر التخطيط في بناء المجتمع المدني, محمد صالح جواد السامرائي, دار ابن حزم, بيروت, (ط١), ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

٢. الإحكام في اصول الأحكام, للحافظ ابن حزم الأندلسي, دار الحديث, القاهرة,(د. ط), ١٩٨٤م.

٣. احياء علوم الدين, للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزّالي, ت(٥٠٥) هـ , وبذيله كتاب المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار, للعلامة زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن حسين العراقي, ت(٨٠٦)هـ, دار المعرفة، بيروت . لبنان, (ط١), ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٤. أدب الدنيا والدين, تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ت(٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (ط٥)، ٢٠٠٨ م .

٥. الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، دار المنار، السعودية، (د. ط) ، ١٩٨٩ م.

٦. أصول الدعوة، تأليف: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان، (ط١٠) ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م.

٧. الإيمان والحياة، للدكتور: يوسف القرضاوي، مكتبة وهب، (د.ط)، (د.ت).

٨. التحرير والتنوير, للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د .ط) ١٩٩٧ م.

٩. التعريفات, تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني, ت (٤٧١) هـ, دار السرور, بيروت ,(د. ط).

١٠. تفسير ابن أبي حاتم, المؤلف عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي, ت(٣٢٧)هـ , تحقيق : أسعد محمد الطيب, المكتبة العصرية, صيدا, (د. ط).

١١. تفسير البحر المحيط، تأليف محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان, ت(٧٤٥) هـ، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض, دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان,(ط١٠)،١٤٢٢هـ . ٢٠٠١ م.

١٢. تفسير الشعراوي(خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم), (د. ط).

١٣. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار, للإمام محمد رشيد رضا , دار الفكر، بيروت, (ط٢)، (د. ت) .

١٤. تفسير القرآن العظيم, لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي, ت(٧٧٤) هـ, تحقيق سامي محمد طعمة, دار طيبة, (ط٢), ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.

١٥. التفسير الواضح, محمد حجازي, دار الكتاب العربي, بيروت, (د. ط), ١٩٩٢م.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر السعدي, ت(١٣٧٦)هـ, تحقيق: مجدي فتحي السيد وآخرون, المكتبة التوفيقية, مصر, القاهرة, (د. ط) .

١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري, ت(٣١٠)هـ, تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, (ط١), ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

١٨. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي, ت(٩١١)هـ, دار الفكر, بيروت, (د .ط).

١٩. الجامع لأحكام القرآن, لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي, ت(٦٧١)هـ, تحقيق: هشام سمير البخاري, دار الكتب العلمية, الرياض, السعودية, (د. ط),١٤٣٢ هـ . ٢٠٠٣م.

٢٠ . حوافز العمل بين الاسلام والنظريات الوضعية، محمد عقلة الإبراهيم، المملكة الاردنية الهاشمية، مكتبة الرسالة الحديثة، (د. ط)، ١٩٨٨م .

٢١. الدعاة والتخطيط, محمد عبدالله الخطيب, دار الطباعة والنشر الإسلامية, القاهرة, (د. ط), ١٩٨٩م.

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني, تأليف: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي, (د. ط).

٢٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله بن قيّم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١٤)، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٦ م.

٢٤. زهرة التفاسير, للإمام محمد أبو زهرة, دار الفكر العربي, (د. ط).

٢٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة, محمد بن ناصر الألباني, مكتبة المعارف , الرياض, (د. ط).

٢٦. الشورى في القرآن الكريم، صلاح عبد الفتاح الخالدي، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية, الأردن، (د. ط)، ١٩٨٩ م.

٢٧. الصحاح, تاج اللغة وصحاح العربية, تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري, ت(٣٩٨)هـ, تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا, دار العلم للملايين, بيروت, (ط٣), ١٩٨٤م.

٢٨. عدّة الصابرين، تأليف الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ط).

٢٩. العين ،لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ت(١٧٥)هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان, (ط٢), ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

٣٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ت(٧٢٨) هـ ، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (ط١)، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م.

٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير, تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني, ت (١٢٥٠) هـ, دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, (ط١) ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٣٢. الفكر الاقتصادي بين المدارس الوضعية والمدارس الإسلامية، للدكتور عبد الموجود الصميدعي، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، (د.ط),١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م.

٣٣. في ظلال القرآن, سيد قطب, طبعة دار الشروق، القاهرة, (ط٣٤), ١٤٢٥ هـ , ٢٠٠٤م.

٣٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل, تأليف: أبي القاسم محمود جار الله الزمخشري, ت(٥٣٨)هـ, دار التراث العربي , بيروت, (د .ط).

٣٥. لسان العرب, لأبن منظور , دار الحديث, القاهرة , (د. ط) ٢٠٠٣م .

٣٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي, ت(٨٠٧)هـ، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر, دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, (د. ط), ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.

٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي, ت(٥٤٦) هـ، دار ابن حزم , بيروت . لبنان, (ط١), ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

٣٨. مختصر منهاج القاصدين, لأبن قدامة المقدسي, تحقيق: كمال الجمل , المنصورة, مصر, مكتبة الإيمان, (د . ط) .

٣٩. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين, للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية, ت(٥٧١)هـ, تحقيق رضوان جامع رضوان, مؤسسة المنار, القاهرة, (ط١), ١٤٣٣هـ . ٢٠٠١م.

٤٠. مسند أبي يعلى, المؤلف: أحمد بن علي المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث, دمشق، (ط١), ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

٤١. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي, ت(٥١٦)هـ , دار ابن حزم, بيروت . لبنان، (ط١),١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢م.

٤٢ . المعجم المفهرس للقرآن الكريم, محمد فؤاد عبدالباقي , دار الحديث , القاهرة , (د .ط),١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.

٤٣. معجم لغة الفقهاء ، وضعه: د. محمد رواسي قلعة جي ود. حامد صادق قتيبي، طبعة دار البشائر، بيروت, (ط١) ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م.

٤٤. معجم مقاييس اللغة, تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت(٣٩٥)هـ ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, (ط٢), ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

٤٥. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، ت(٦٠٦)هـ، دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان، (ط١), ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٤٦. المفردات في غريب القرآن, تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني, ت(٥٠٢) هـ, راجعه وقدّم له: وائل أحمد عبد الرحمن, المكتبة التوفيقية, مصر. القاهرة, (د. ط).

٤٧. موسوعة أخلاق القرآن، للدكتور أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي ، بيروت . لبنان، (ط٣)، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .

٤٨. نحو كلمةٍ سواء وحوار كريم, عبدالله نجيب سالم, الكويت, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, (ط١), ١٩٨٥م.

٤٩. النكت والعيون, أو تفسير الماوردي, تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري, ت(٤٥٠)هـ, مراجعة السيد عبد المقصود عبدالرحيم, دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, (ط٢), ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.

٥٠. النيّة والإخلاص, للدكتور يوسف القرضاوي, مطبعة المدني, مصر . القاهرة, (ط٧), ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م.

٥١. وسائل الإصلاح, محمد الخضر حسين, مطبعة الهداية الإسلامية , بيروت, (ط١), ١٩٦٨م.